



مادة فقه السيرة

د. عبد العظيم بدوي

الدرس (3)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونتسغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ -صلى الله عليه وآله وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لعلكم تذكرون أننا انتهينا في دروس السيرة النبوية العطرة المباركة إلى بدء الوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعرفنا مما سبق أن أول ما بُدء به النبي -صلى الله عليه وسلم- الرويا الصالحة --- أو الصادقة- كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح،

ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان يتزوّد بما يحتاج إليه من الطعام والشراب --- ويصعد غار حراء فيتعبد الليالي ذوات العدد،--- فإذا نفد زاده رجع إلى خديجة فزودته بزيادة فرجع، إلى هكذا حتى جاءه جبريل لأول مرة بأولى الآيات نزولاً وهي **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}** [العلق: 1].

الوحي هو--- وحي الله -تبارك وتعالى- لأنبيائه له أنواع وصور- ما هي أنواع الوحي وصوره؟

1---من أنواع الوحي: تكليم الله نبيّه بما يريد من وراء حجاب.

- *******إما في اليقظة:** وذلك مثل تكليم الله موسى -عليه السلام-، ومثل ما حدث لنبيينا -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء والمعراج.

- ***** وإما في المنام** كما في حديث ابن عباس ومعاذٍ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

«أتاني ربي فقال: فيم يختصم الملائكة؟».

فأول نوع من أنواع الوحي: ---أن يُكلّم الله نبيّه بما يريد من وراء حجاب---، إما في اليقظة، ---وإما في المنام.

والذي عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة: أن نبي الله موسى ونبيينا -عليهم الصلاة والسلام- سمعا كلام الله الأزلي القديم، الذي هو صفة من صفاته،----

----وليس المسموع---- الكلام النفسي كما تزعم الأشاعرة،

---- وليس المسموع ----الكلام الذي خلقه الله في الشجرة كما زعمت المعتزلة.

2---ومن أنواع الوحي: إعلام الله أنبياءه بوساطة جبريل- إعلام الله أنبياءه ما يريد بوساطة جبريل، وهذا هو ما

(((يعرف بالوحي الجلي)))---ولذلك حالات -مجيء جبريل إلى النبي له حالات- منها:

الحالة الاولى أن يظهر جبريل في صورته التي خلقه الله عليها،-----**

الصورة الملائكية، وهي حالة نادرة، ولم ير النبي -صلى الله عليه وسلم- جبريل على هذه الحالة إلا مرتين.

• *******مرة وهو نازل بعد فترة الوحي من غار حراء.**

• ******* ومرة وهو في السماء ليلة الإسراء والمعراج.**

الحالة الثانية: أن يأتي جبريل في صورة رجل،**

وكان غالبًا يأتي في صورة **دحية الكلبي**---- ويراه الناس ويسمعون قوله--، ولكن لا يعرفون أنه جبريل----، لأنه في صورة بشر.

أو في صورة رجل غير معروف،---- كما في حديث **عمر المشهور**: "بينما نحن عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد".

3---ثالثًا: من أنواع الوحي--- أن يأتي في صورته المَلَكِيَّة،---- وفي هذه الحالة لا يُرى---- ولكن يصحب مجيئه----- صوت كصوت الجرس، أو كدويّ النحل----، وفي هذه الحالة---- يتحول النبي من حالة البشرية الخالصة إلى حالة يحصل فيها استعداد للتلقي عن الملك، وهذه الحالة هي أشدّ الحالات على النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى إنه كان ليتصيب عرقًا في اليوم الشتائي البارد من شدة الوحي.

4---الحالة الرابعة----- من أنواع الوحي: القذف في قلب النبي،

أن يلقي الله أو جبريل في قلب النبي ما يريد من الوحي، مع تيقن النبي أن ما ألقى في قلبه من قِبَل الله تعالى. وذلك كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «إن روح القدس جبريل نفث في روعي: لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته».

ومن أنواع الوحي: الإلهام،---- وهو العلم الذي يلقى الله تعالى في قلب نبيه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: 51].

5---خامسًا: الرؤيا في المنام، ورؤيا الأنبياء وحي،

ولذلك لما رأى الخليل إبراهيم -عليه السلام- في المنام أنه يذبح إسماعيل بادر إلى الامتنال وتنفيذ الأمر، لأنه يعلم أنها وحي من الله تبارك وتعالى.

*******والوحي بجميع أنواعه----- يصحبه علم يقيني ضروري من الموحى إليه بأن ما ألقى إليه حق من عند الله،----- وليس من خطرات النفس،--- ولا نزغات الشيطان----- وهذا العلم اليقيني لا يحتاج إلى مقدمات؛----- وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية---كالجوع والعطش ونحوهما.**

كما أنت إذا جعت تشعر بالجوع، تعطش تشعر بالعطش، كذلك النبي لما يُلقى في قلبه يقين عنده أن هذا من الله -سبحانه وتعالى-. وهكذا تحدثنا عن بدء الوحي إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وعرفنا في حديث أمنا عائشة كيف رجع إلى خديجة يرجف فواده يقول: «**زملوني زملوني**»، إلى آخر الحديث----- وبعد هذه المرة قتر الوحي.

فتر: أي انقطع عن النبي -عليه الصلاة والسلام- غاب جبريل عن النبي فترة اختلّف في مقدارها.

ف قيل:----- كانت أيامًا.

وقيل:----- كانت أربعين يومًا.

وقيل:----- ستة أشهر.

وقيل -----أكثر من ذلك.

والأقوال التي هي----- ستة أشهر----- وسنتين----- وثلاثة، وأكثر،-----((((هذا لا تصح))))

والراجح -والله أعلم: أن جبريل انقطع عن النبي أيامًا-----في فترة الوحي هذه جاء في صحيح البخاري رواية معلقة، فيها "أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما فتر الوحي حزن حزناً شديداً حتى غدا مراراً إلى الجبل ليرمي بنفسه من رأس الجبل، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّى له جبريل، فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقاً. فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت على فترة الوحي غدا لمثل ذلك".

هذه الرواية وإن كانت في صحيح البخاري، لكنها ليست على شرط الصحيح،----- لأنها من البلاغات، وهي من قبيل المنقطع، والمنقطع من أنواع الحديث الضعيف، والبخاري لا يُخرج إلا الأحاديث المسندة المتصلة برواية العدول الضابطين،

فلماذا أورد هذا الحديث المنقطع؟

قال: لعلّه ذكره لينبهنا----- إلى أن هذه الرواية مخالفة لما صحّ عنده من حديث بدء الوحي -الذي ذكرناه- ولم تُذكر هذه الزيادة في حديث بدء الوحي.-----ولو أنّ هذه الرواية كانت صحيحة لأولناها تأويلاً مقبولاً،---أمّ وهي على هذه الحالة من الضعف؛

فلا نكلّف أنفسنا عناء البحث عن مخرج لها، فهي رواية ضعيفة.

الرواية تقول أنه لما غاب عنه الوحي صار يصعد الجبل ليرمي نفسه؛ ((هذه لا تصح.)))

وفي أثناء فترة الوحي -أي انقطاعه- كان -عليه الصلاة والسلام- أيضًا يذهب إلى غار حراء فيخلوا فيه ويتعبد، ----

وبينما هو نازل ذات يوم---- إذا سمع صوتًا من السماء، فرفع رأسه فإذا جبريل في صورته التي خلقه الله عليها سادًا ما بين الأفق،

فرعب منه،---- خاف،---- ثم رجع إلى السيدة خديجة -رضي الله عنها- فقال: «**زملوني زملوني**»، فملوه، فأُنزل الله عليه

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: 1-5].

فكانت أول آيات نزلت بعد فترة الوحي، أمرة له بالإنذار {قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: 2]، وداعية إلى توحيد الله {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر: 3]، داعية إلى توحيد الله وتعظيمه، ---وعبادته وحده، ---وترك عبادة غيره. ----

----فنبئ النبي صلى الله عليه وسلم- باللقاء الأول لما قال {اقْرَأْ} [العلق: 1].

----وأرسل باللقاء الثاني لما قال له: {قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: 2].

فالصحيح أن أول ما نزل: اقرأ.----- وأن المدثر أو ما نزل بعد فتور الوحي.

يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بسند عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم- يُحدِّث عن فترة الوحي، فقال:

«بين أنا أمشي إذا سمعتُ صوتًا من السماء -أي جهة السماء- فرفعت بصري قبل السماء فإذا الذي جاءني بحراء -أي الملك الذي جاءني بحراء قبل ذلك- قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجنفتُ منه هويث على الأرض، فجنثُ أهلي فقلت: **زملوني زملوني**»-----

فزملوه، فأُنزل الله تعالى {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: 1-5]،

ثم حمي الوحي وتتابع.

وهناك رواية تقول: أن أول ما نزل بعد فتور الوحي سورة الضحى {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى 1-3].

والصحيح ما ذكرناه أن أول ما نزل بعد انقطاع الوحي **بعد أول مرة هو المدثر----**، ولعلَّ سورة الضحى نزلت في فتور الوحي مرة ثانية بعد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. ----

فلما أمرَ بالإنذار {قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: 2]، بدأ -عليه الصلاة والسلام- الدعوة. كيف يبدأها؟ هل سيخرج في صحن الكعبة ويقول: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فجأة على الملأ؟ لا،----- **لابد من التمهيد والتخطيط**،----- ولابد من جذب عصبية وإن كانت قليلة تقف بجواره -عليه الصلاة والسلام- تحميه وتدفع عنه، لأن سيفاجئ الناس بتغيير عقيدتهم، فكانت الحكمة تقتضي أن يبدأ -عليه الصلاة والسلام- الدعوة سرًا.

فبعد نزول آيات المدثر قام صلى الله عليه وسلم- يدعو إلى الله وإلى الإسلام سرًا. طيب سيبدأ الدعوة بمن؟ طبيعي أن يبدأ بأهل بيته وأصدقائه وألصق الناس به.

1-----**وكان أول من آمن به من النساء؛ بل أول من آمن به على الإطلاق: ---زوجه السيدة خديجة -رضي الله عنها.**

2-----**ثم أول من آمن به من الرجال الأحرار الأشراف: صديقه الحميم--- أبو بكر عبد الله بن عثمان -رضي الله عنه.**

3-----**وأول من آمن به من الصبيان: ابن عمه والمتربي في حجره----- علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وكان سنه إذ ذاك عشر سنين.**

4-----**وأول من آمن به من الموالي:----- حُبّه ومولاه ومتبناه زيد بن حارثة.**

5-----**وأول من آمن به من العبيد: ---بلال بن رباح الحبشي.**

6-----**وكذلك سارع إلى الإسلام----- بنات النبي صلى الله عليه وسلم.-----** لأنه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بما كان عليه أبوهن من الاستقامة وحسن السيرة، والتنزه عما كان يفعله أهل الجاهلية من عبادة الأصنام والوقوع في الآثام.

فهذا الترتيب في إسلام السابقين هو أرجح الأقوال -في ترتيب إسلام السابقين الذين دعاهم النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى الإسلام.

فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه- لم يكتف بالمسارعة إلى الإيمان والتصديق بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بل قام أبو بكر بالدعوة أيضًا إلى الإسلام سرًا، وهذا هو واجب كل من يهديه الله تعالى للإسلام، كل من يهديه للإسلام يجب مباشرة بعدما يهتدي يبدأ في دعوة الآخرين فلم يكتف أبو بكر رضي الله عنه- بالإسلام فقط؛ بل بدأ يدعو الناس أيضًا سرًا إلى الإسلام، واتباع النبي -عليه الصلاة والسلام----- وكان له فضل كبير في إسلام كثير من أشرف قريش وكبرائها، فأسلم بدعوة أبي بكر جماعة من الأشراف

منهم: عثمان بن عفان،-- والزبير بن العوام،-- وعبد الرحمن عوف،-- وسعد بن أبي وقاص،-- وطلحة بن عبيد الله. فجاء بهم أبو بكر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين استجابوا له، فأسلموا وأصبحوا من جنود الإسلام المخلصين لدعوته.

ثم أسلم بعد ذلك الرعيل الأول،----- والرعيل الثاني،----- والثالث،-- وكثر الصحب كثرة ليست كثيرة، فاختار النبي -صلى الله عليه وسلم- مكانًا يجمع فيه بهؤلاء الأصحاب الذين آمنوا به وصدقوه، لأنه لا يستطيع أن يجتمع بأصحابه علانية وجهراً، لا يستطيع أن يجتمع في صحن الكعبة،----- ولا على جبل الصفا،-ولا بد أن يلتقي بهم ليرببهم ويعلمهم ويبلغهم ما يأتيهم من عند الله -سبحانه وتعالى-.

فاختار -عليه الصلاة والسلام- دار الأرقم بن الأرقم، وكان الأرقم رضي الله عنه- من السابقين الأولين.

وكان داره منتدى يجتمع فيه المسلمون، ويعبدون الله سرًا، ويلقنهم النبي -صلى الله عليه وسلم- الإسلام وأصوله ويتعهدهم بالتربية حتى كَوْن منهم أناسًا يستهون بكل الآلام والبلاء في سبيل دينهم وعقيدتهم.-----وكان من يريد الإسلام منهم يأتي إلى دار الأرقم مستخفيًا خشية أن يناله أذى قريش، وكانت دار ابن الأرقم عند جبل الصفا.

ومكث -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في هذه الدار حتى أسلم الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فاستعلنوا بعبادتهم، وراغموا أهل مكة وأدلوهم.

وقد أعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأرقم دارًا بالمدينة مكافأة له على ما أدته داره بمكة من خدمة جليلة للإسلام في أول عهده-، فكانت هذه الدار أول مدرسة في الإسلام؛ بل كانت أكبر جامعة، وأعظم جامعة عرفها العالم، خرّجت أعظم رجال عرفهم التاريخ، ولا تزال هذه الدار مفخرة خالدة للأرقم رضي الله عنه- على مدار التاريخ وشذى جميل وعطر طيب ينضوّع إلى يوم القيامة. ومضى أبو بكر رضي الله عنه- يدعو الناس إلى الإسلام مع الرسول -عليه الصلاة والسلام- حتى أيد الله تعالى رسوله -صلى الله عليه وسلم- بعصبة مؤمنة،----- ربّاهم على التضحية من أجل العقيدة ومن أجل الدين،----وحرصًا على رضا رب العالمين -سبحانه وتعالى-.

وبعد ثلاث سنوات من الدعوة سرًا جاء التكليف من ربّ العالمين لنبيه الأمين بأن يجهر بالدعوة،

وأن تكون الدعوة علانية، فانتهت السرية منذ ذلك التاريخ.----أمر الله تعالى رسول -صلى الله عليه وسلم-

بعد ثلاث سنوات من عمر الدعوة السرية أن يصدع-----، وأن يجهر،

وأن يبلغ الناس جميعًا ما أوحاه الله إليه، فقال تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: **{فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}** [الحجر: 94]. فجهر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالدعوة، واستعلن بها هو وأصحابه،----- فلم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه----- حتى عاب آلهتهم، وسفّه أحلامهم،--وبيّن لهم ما هم فيه من الضلالة والجهل والخرافات فحينئذ جاهره وصحبته بالعداوة، وعزموا على مخالفته عصبيةً وجهلاً. ولمّا لم يمكنهم أن يقرعوا الحجة بالحجة وأفحموا-----لجؤوا إلى السباب والشتم والإيذاء والتعذيب،-----ومن ثمّ بدأ دور المحنة والبلاء، وكان دورًا طويلًا شاقًا أودى فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- على الرغم من دفاع عمه أبي طالب عنه، ووقوفه بجواره، وأودى المسلمون غاية الإيذاء، ولاسيما العبيد والضعفاء.-----فلما نزل قول الله -تبارك وتعالى-:

{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَخَفُضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} [الشعراء 214 , 216]،

صعد النبي -صلى الله عليه وسلم- على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي ببطون قريش، يا بني فلان، يا بني فلان، حتى اجتمعوا عنده، وكان الرجل إذا لم يستطع الخروج يبعث من عنده من يتحرى له الخبر ويعرف له الحقيقة.

فجاء أبو لهب وقريش والنبي على الصفا، فقال: **«أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟»**

هم في الوادي تحت، وهو فوق الجبل، ومن على الجبل يرى خلفه ما لا يراه من في الأسفل.

قال: لو قلت لكم أو وارني عدو يريد أن يغير عليكم، تصدقوني؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا.

قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»----- فقال أبو لهب -للأسف هو عم النبي- قال: تبّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟!

أنت أخرجتنا من بيوتنا حتى نقول هذا الكلام؟ تبّا لك.-----تبّا: أي هلاكًا وموتًا.

فأنزل الله تعالى في الردّ على أبي لهب {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} [سورة المسد].

وكانت امرأة أبي لهب أيضًا من أشد الناس عداوة للنبي -----عليه الصلاة والسلام- وكانت تسعى بالإفساد بينه وبين الناس بالنميمة، وكانت تضع الشوك في طريقه، والقذر على بابه، فكان ينحبه ويقول: **«أي جوار هذا يا بني عبد مناف؟!»**---- فيه جار يعمل هكذا مع جاره؟!!

«أي جوار هذا يا بني عبد مناف؟!»، ----- فلا عجب إذا كان الله - عز شأنه- توعّد امرأة أبي لهب بشديد العذاب كما توعّد زوجها. ولما سمعت امرأة أبي لهب ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن؛ أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبي بكر الصديق، وفي يدها حجر ملء الكف، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن النبي صلى الله عليه وسلم- فلا ترى إلا أبا بكر. **فقالت:** يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغني أنه يهجونني، والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر، فانصرفت.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ قال: **«ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني».**

وهكذا حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم- من تلك المرأة التي جاهرته بالعداوة. فلما رأت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم- ماضٍ في دعوته، ----- يسفه أحلامهم، ويذمّ آلهتهم، ويدعوهم إلى ترك ما يعبدون وأبائهم **الأقدمون؛ حاولت قريش بكل الأساليب وكل الطرق أن تصدّ النبي** صلى الله عليه وسلم- عن هذه الدعوة، وأن تصرف الناس من حوله. استخدموا لذلك أساليب كثيرة، من أساليب قريش التي حاولت أن توقف بها الدعوة، وتسكت بها صوت الحق: أنهم حاولوا أن يصرفوا أبا طالب عن النبي -عليه الصلاة والسلام- فجاؤوا إليه فقال: إن ابن أخيك هذا قد أذانا في نادينا ومسجدنا، فانه عتّا. فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ----- أي بني، هؤلاء أعمامكم زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم، فانتبه عن أذاهم. فحلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم- ببصره إلى السماء،

فقال: **«تترون هذه الشمس؟».** قالوا: نعم. فقال:

«ما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن نشعلوا منها بشعلة».

إذا كنت تستطيعون تستوقدون من الشمس أنا أترك الأمر الذي بعثني الله به.

وفي رواية قال: «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بُعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من

النار»----- فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط، فارجعوا راشدين.

وحاولت----- قريش مرات عديدة الضغط على رسول الله صلى الله عليه وسلم- بوساطة عائلته ولكنها فشلت.

كذلك حاولوا تشويه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم- فأخذوا يتهمونهم بالتهمة، ويصفونه بالصفات الذميمة والقيحة، فقالوا:

ساحر، ----- شاعر، ----- كاهن، ----- مجنون.----- وقالوا في القرآن سحر يؤثر.

فبرأه الله مما قالوا، فقال: **﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾** [الطور: 29]. وقال: **﴿إِنَّ وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْتَرْوُونَ﴾** [القلم: 1]

وقال: **﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الحاقة 38 - 43]

ثم لجؤوا إلى الاضطهاد والتعذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم- ولمن آمن معه، وأوذى -عليه الصلاة والسلام- إيذاءً كثيراً، من هذا الأذى الذي لحقه من قومه:

قال أبو جهل: هل يُعَفِّر محمدٌ وجهه بين أظهركم؟ ----- يعني به: الصلاة، أليس محمد يصلي ويضع وجهه في الأرض؟- فقبل: نعم.

فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب.

قال: فأتى رسول الله وهو يصلي -لما صلى الرسول قالو: محمد يصلي- جاء يزعم أنه قادر على أن يفعل ما توعّد به.

قال: فما فجأهم منه إلا وهو يرجع إلى وراء ناكصاً على عقبيه ويتقي بيديه.

فقبل: مالك؟ قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهول وأجنحة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاحتطفتة الملائكة عضواً عضواً».

ومما لحقهم من الأذى ما ذكره ابن مسعود، ----- قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم- قائم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المراني؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها" فيه جمل مذبح، من يقوم يأتي ببطن الجمل ويضعه على محمد وهو يصلي؟ "فانبعث أشقاها، فلما سجد صلى الله عليه وسلم- وضعه وضعه بين كتفيه"،

ومع ذلك ثبت -عليه الصلاة والسلام- في سجوده، وهم يضحكون ويتمايل بعضهم إلى بعض.

"فانطلق منطلق إلى فاطمة -رضي الله عنها- هي جويرية صغيرة، فأقبلت تسعى، وثبت النبي حتى جاءت فاطمة وألقت عنه ما وضعه على ظهره، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى -عليه الصلاة والسلام- الصلاة قال: **«اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش»**، ثم سمي منهم بعضهم، **«اللهم عليك بفلان، وعليك بفلان، وعليك بفلان»**، فقتلوا جميعاً يوم بدر".

كذلك لحق الصحابة -رضوان الله عليهم- من الأذى الشيء الكثير، أؤذي أبو بكر -رضي الله عنه- نفسه، فضلاً عن ضعفاء المسلمين.

وقصة بلال -رضي الله عنه- مشهورة، قصة تعذيبه بسبب إسلامه، يقول عبد الله بن مسعود: "أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد". فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم- فمنعه الله بعمه أبو طالب.

وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه.-----وأما سائرهم فأخذهم المشركون فالبسوهم أدرع الحديد، وصهروه في الشمس"،-----لبس قميص حديد وموضوع في الشمس، "فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم -أي وافقهم- على ما أرادوا". اضرب، اضرب، عذب، اكفر بمحمد، ماذا سيفعل تحت وطأة التعذيب؟ أجابهم إلى ما قال كارهاً؛----- **إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان عليه قومه، فأعطوه الولدان -أعطوه للأطفال الصغار- وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد، أحد أحد".**

أذى كثير وتعذيب واضطهاد لحق النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، ومع ذلك صبروا كما أمرهم الله -تبارك وتعالى- احتسبوا الأجر والثواب عند الله -سبحانه وتعالى-.

فلما رأى النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الأذى يشتد بأصحابه أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة،

فهاجروا -رضي الله عنهم- فماذا كان من شأنهم في هذه الهجرة؟

وما هي الدروس المستفادة التي نأخذها من هذه الهجرة؟ كانت للهجرة إلى الحبشة أسباب:--

1---منها: الأذى والاضطهاد والتعذيب الذي لحق الصحابة -رضوان الله عليهم كما أشرنا.

2---ومنها: الفرار بالدين، فالله -سبحانه وتعالى- قد أمر المستضعفين في الأرض بالهجرة {إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّاي فَاعْبُدُونِ} [العنكبوت: 56]، فإذا استضعف مسلم في بلد وعجز عن إظهار دينه؛ وجبت عليه الهجرة إلى أرض يستطيع فيها القيام بشعائره إذا كان يستطيع الهجرة، فكان الفرار بالدين خشية الافتتان سبباً مهماً من أسباب الهجرة إلى الحبشة.

3---ومنها: نشر الدعوة إلى خارج مكة، يهاجرون فينشرون الدعوة.

4---ومنها: البحث عن مكان آمن للمسلمين، هم في مكة لا يأمنون على أنفسهم، فهاجروا يبحثون عن بلد يأمنون فيه على أنفسهم.

طيب.. لماذا أشار النبي -عليه الصلاة والسلام- على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة دون غيرها من البلاد؟ لماذا خص الحبشة؟ لما لم يذهبوا لليمن، لم يذهبوا للمدينة، لم يذهبوا هنا أو هنا؛ لماذا خص الهجرة بالحبشة؟

1---أشار النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى السبب في الهجرة إلى الحبشة بقوله لأصحابه: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة؛ فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد»، وكان النجاشي ملكاً وكان نصرانياً، لكن كان ملكاً عادلاً، وكان موصوفاً بالصلاح. فقد ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم: «وكان بالحبشة ملك صالح يُقال له النجاشي، لا يُظلم أحد بأرضه»،-----وكان يثني عليه، فلذلك أشار -عليه الصلاة والسلام- على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة.

2---ثم إنَّ الحبشة هي متجر قريش، والتجارة كانت عماد الاقتصاد القرشي،-----والحبشة تعتبر من مراكز التجارة في الجزيرة، فربما عرفها بعض المسلمين عندما ذهبوا إليها في التجارة،

وحاولت قريش أن تطارد المهاجرين من الصحابة، وتردهم إليهم لينتقموا منهم، فبعذبوهم أو يقتلوهم، فأرسلوا إلى النجاشي وقد أرادهم إليهم، ولكن النجاشي لصلاحه وعدله أبى أن يرُدَّ المهاجرين مع وفد قريش الذي بعثته إليه ليرُدَّ عليهم المهاجرين إليه.

وفي أثناء إقامة المسلمين الأولين الذي هاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى؛ أسلم حمزة -رضي الله عنه- وعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

فلما أسلم حمزة وعمر، يعني المسلمين وجدوا في ذلك ملاذاً،-----وصاروا يُظهرون إسلامهم، ويظهرون عزتهم وكرامتهم بإسلام حمزة وعمر -رضي الله عنهما- فبلغ الخير المهاجرين في الحبشة أن حمزة أسلم -عم النبي- الأسد المشهور المعروف بشجاعته وجراته، عمر كذلك، الفاروق المشهور بجراته وشجاعته،

1-----فكان الخبر بإسلام حمزة وعمر السبب في أن المهاجرين يرجعون إلى مكة بعد الهجرة الأولى

.هذا هو السبب الرئيس في عودة المهاجرين إلى الحبشة،--2

2---ولكن هناك سبب يُروى في قصة باطلة يجب التنبيه عليها ولا يجوز تركها.----

هذه القصة هي المعروفة بقصة الغرائيق، -----ما هي الغرائيق؟

قالوا: إن النبي -عليه الصلاة والسلام- وهو يقرأ القرآن ألقى الشيطان على لسانه مدح اللات والعزى،

فقرأ: "أفرايتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرائيق العلى"، ومع هذه الأصنام والأوثان التي يعبدونها المشركون، فسُرَّ المشركون بذلك، ولذلك لما قرأ آخر السورة {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعِبُدُوا} [النجم: 62]، سجدوا معه.

فقالوا: بلغ الخبر في الحبشة المهاجرين أن أهل مكة أسلموا، فرجع المهاجرون إلى مكة-----هذه القصة يا إخواني- يقول فيها العلماء:

أنها قصة أسطورة، باطلة، لا تصح أبداً.-----كيف نُفِّد هذه القصة ونبطلها؟

1---أولاً: *****من القرآن الكريم:----- الله تعالى قال في حق النبي -عليه الصلاة والسلام:

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الحاقة 44 - 47]، فتوعد الله رسوله أنه لو تقوَّل في القرآن قولاً صغيراً أو كبيراً، قليلاً أو كثيراً، {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة 45 ، 46]، وما يدفع عنه عذاب الله دافع، فلو تقوَّل لفعل الله به، ولكن الله لم يفعل به، فثبت أنه لم يتقوَّل.

2---ثانياً: *****الله -عز وجل- قد تكفل بنفسه بحفظ هذا القرآن الكريم، فقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]، فكيف يسمح الله -سبحانه وتعالى- بأن يدخل في القرآن ما ليس منه؟

*****فهذه الأدلة النقلية من القرآن تدل على بطلان قصة الغرائيق التي جعلها بعضهم سبباً في عودة المهاجرين إلى مكة من الحبشة.

*****أما بطلانها من جهة العقل بعد أن قام الدليل النقلى عليها: أجمعت الأمة على عصمة النبي -صلى الله عليه وسلم- من مثل هذا، إذ لو جاز هذا من الرسول لجاز عليه الكذب،

والكذب على الرسول محال، إذ صدور مثل هذه القصة عن الرسول محال،-----

ولو قاله عمداً أو سهواً لم تكن له عصمة،-----وهذا مردود؛ فدلَّ ذلك على بطلان هذه القصة.

3---ثالثاً: *****ثم إن القصة تنافي التوحيد الذي ظلَّ -عليه الصلاة والسلام- يجاهد من أجل نشره ----- منذ أن قال له ربه {قُمْ فَأَنْذِرْ} [المائدة: 2] إلى أن توفي، فكيف يمدح الأصنام وهو الذي بُعث ليهدمها في قلوبهم.

4---رابعاً: *****ثم إنَّ هذه القصة كما أنها باطلة بالدليل النقلى والدليل العقلي؛ فإن اللغة أيضاً تبطلها

، لأن اللغة فيها كلام ركيك،----- ضعيف، لا يرتقي إلى درجة البلاغة التي كان عليها القرآن الكريم، وبسببها عز العرب عن أن يأتوا بشيء من مثل القرآن مع أنَّ الله -تبارك وتعالى- طلب منهم أن يأتوا بشيء مثله أكثر من مرة فلم يستطيعوا.

قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة 23 ، 24]،-----

اتقوها -----بالإيمان بأن القرآن كلام الله رب العالمين،-- وليس كلام محمد -صلى الله عليه وسلم- ----ولما رأت قريش-----

***** أن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد كثروا وعزُّوا بعد إسلام حمزة وعمر -رضي الله عنهما-

***** وأن المهاجرين إلى الحبشة قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً،-----

***** وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم،

***** ورأوا الإسلام بدأ يفشوا في القبائل؛ أرادوا أن يتخذوا قراراً حازماً يقضون به على هذه الدعوة،

رأوا أن يقتلوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأمرهم فأدخلوا رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- شعبهم -شعب بني هاشم- ومنعوه ممن أرادوا قتله،----- فأجابوه لذلك حتى الكفار منهم، فعلوا ذلك حمية للرحم والقرابة على عادة الجاهلية في ذلك، ولم يشذ على هذا الإجماع -على حماية الرسول- إلا أبو لهب ابن عبد المطلب،----- فقد انحاز إلى قريش وظاهرهم على ابن أخيه.-----سبحان الله! سبحان الله!

فلما رأت قريش أن بني هاشم وبني المطلب أدخلوا محمداً في الشان-----، يعني حفظوه وصانوه،----- وعجزت قريش عن الوصول إليه

لقتله؛ أجمعوا أمرهم وانتمروا فيما بينهم على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم والمطلب ألا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم -----لا

ينزوجوا منهم ولا يزوجهم- ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يُسلموا رسول الله إليهم ليقتلوه،

وكتبوا هذا في صحيفة بخط منصور بن عكرمة في رواية ابن إسحاق، وقال ابن سعد-----: بخط بغض بن عامر.

المهم: فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الكاتب فشلت يمينه، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، محاصرين في الشعب، وهو ما يسمونه في العصر الحاضر: الحصار الاقتصادي، الذي يفرضه على كل من أرادوا من المسلمين

فالحصار الاقتصادي هذا سلاح كافر يستخدمه الكفار منذ أن بعث النبي -عليه الصلاة والسلام-

أقام بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب مع رسول الله سنتين أو ثلاثة حتى أصابهم الجهد، وكان لا يصل إليهم شيء إلى سرّاً مستخفياً ممن أراد صلتهم من قريش.

وكان ممن يصلهم: حكيم بن حزام، ابن أخي السيدة خديجة -رضي الله عنها-، وهشام ابن عمرو العامري،

وكان أوصلهم لبني هاشم، وذلك لأنه ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، وذلك كان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف لقومه، فكان يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلاً قد أوقره طعاماً-----يعني حمل عليه حملاً ثقيلاً جداً على الجمل- حتى إذا بلغ قم الشعب خلع خطامه من رأسه -أي الزمام- ثم يضرب على جنبه، ثم يأتي به قد أوقر برّاً قمّاً، فيفعل به مثل ذلك.

وفي ذات يوم كان حكيم بن حزام -----مع غلام يحمل قمماً يريد به عمته السيدة خديجة -رضي الله عنها- وهي عند رسول الله ومعه في الشعب، فقابلته أبو جهل فتعلق به -أين تذهب؟- وقال: أتذهب بالطعام لبني هاشم، فوالله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة. فاتفق مجيء أبي البختری ابن هشام بن الحارث، فقال لأبي جهل: مالك ماله؟ فقال: يحمل الطعام إلى بني هاشم.

قال: طعام كان لعمته عنده بعثت إليه فيه. أتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خلّ سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من الآخر، فأخذ البختری لحي بغير فضربه به فشجّه ووطأه ووطأ شديداً، وحزمة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله وأصحابه فيشتموا بهم، ومع كل هذا فقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدعو قومه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً، لا يتقي في ذلك ولا يخاف أحداً من الناس.

فلما أسلم عمر----- وأعز الله به الإسلام، وتمكنوا من الصلاة بالمسجد الحرام-----، ووصل الخبر إلى الحبشة كما قلت----- رجعوا إلى مكة،----- فدخل منهم من دخل في جوار نفر من أهلها-----، وعصمهم الله سبحانه وتعالى- وحفظهم، ولكن اشتد العذاب مرة ثانية بالمسلمين،----- ومنهم المهاجرين الذين عادوا إلى مكة،----- اشتد أكثر من ذي قبل.

بعد المهادنة التي أعقبت إسلام عمر -رضي الله عنه- فاضطروا للخروج إلى الحبشة مرة ثانية، وهاجر كثير من الصحابة-----، كانوا في الهجرة الأولى--- لا يعدّون على أصابع اليدين، يعني عشرة،--- اثنا عشر رجل وامرأتان---، رجال وفيهم امرأتان،

بينما في الهجرة الثانية----- كانوا ثمانين رجلاً، وقيل اثنان وثمانون،-----

وقد سمى المؤرخون هؤلاء المهاجرين إلى الحبشة مرة ثانية وعدّوهم عدّاً.

فلما وصلوا إلى الحبشة ورأت قريش أنهم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وصارت لهم داراً واستقراراً، وعلموا أن النجاشي أحسن نزلهم وأكرمهم، وأن لا يؤذيهم أحد عنده؛ بعثوا إلى النجاشي بهدايا كثيرة إغراءً له وإطعاماً في أن يرد عليهم هؤلاء المهاجرين، لكن الرجل من عقله وحكمته دعا المهاجرين وسمع منهم ما سمعوه، أو بعض ما سمعوه من رسول الله من القرآن، وأراد الوفد أن يوقع بين النجاشي، وهذا نفر قالوا: أنهم يخالفونك في عقيدتك في المسيح ابن مريم.

فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقرأوا عليه القرآن.

فقال: والله ما هذا وما جاء به عيسى إلا يخرج من مشكاة واحدة، وأسلم النجاشي -رضي الله عنه- ---

وبهذا نكون انتهينا من دراسة السيرة إلى الهجرة الثانية إلى الحبشة.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا إلى التمام والانتهاء، وأن يمدنا بمدد منحوه وقوته، وأن ينفعنا بما نقول ونسمع، وأن يرزقنا التأسّي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.